العنف المدرسي في الجزائر (أسبابه و سبل علاجه)

د. حليمة شريفي

قسم علم النفس، جامعة محمد بوضياف. المسيلة. الجزائر.

- الملخص:

لا يزال ملف العنف في الوسط المدرسي يشغل المهتمين بغرض البحث عن السبل الكفيلة للحد من الظاهرة، حيث أجمع التربويون والأخصائيون النفسانيون على أن العنف المدرسي له عدة تبريرات باعتبار أن الشعور بالقلق إحساس يمر به كل شخص، ولكن حتى لا يتحول إلى سلوك عدواني ينبغي التحكم فيه وتوجيهه.

إن العنف بصفة عامة ظاهرة موجودة في كل دول العالم، حيث أسفرت الدراسة التي قامت بها منظمة اليونسكو في سنة 2004 أن نسبة العنف بالدول العربية بلغت 30 %، فيما قدرت بالدول الأوروبية بـ 35 %، وسجلت أكبر نسبة للعنف بدول أمريكا حيث بلغت ما معدله 65 %.

بيّنت دراسات عديدة أخرى أن العنف المدرسي هو ظاهرة اجتماعية تربوية معقدة تتواجد بالمدن بدرجة كبيرة مقارنة بالأرياف، وبعد أن كانت هذه الظاهرة تخص تلاميذ الأطوار الثانوية والمتوسطة بدرجات متفاوتة، أضحت اليوم تزحف حتى إلى الأطوار الابتدائية وهو ما يستدعي اتخاذ الإجراءات الوقائية السريعة للقضاء على الظاهرة، لا سيما وأن نتائجها باتت وخيمة تتراوح بين الجرح والقتل.

كغيرها من دول العالم، الجزائر أيضا تتواجد بها هذه الظاهرة (العنف في المدارس) وفي جميع مستويات التعليم الابتدائي، المتوسط والثانوي.

على هذا الأساس جاءت هذه الورقة العلمية للكشف عن أسباب العنف المدرسي في الجزائر وما التدابير التي اتخذتها الهيئات المعنية في الدولة الجزائرية للتقليل إن لم نقل الحد من هذه الظاهرة؟

الكلمات المفتاحية: العنف المدرسي - العوامل الاجتماعية - العوامل التربوية - العوامل النفسية.

-Résumé :

Le dossier de la violence au milieu scolaire prenne toujours l'intérêt des spécialise pour chercher les meilleurs solutions du phénomène, les éducateurs et les psychologues confirment que la violence scolaire a plusieurs explications surtout que n'importe quel personne peut avoir la sensation d'angoisse, mais pour que cette sensation ne se transforme pas en comportement violent, il faut savoir le maitriser et l'orienter.

La violence d'une façon générale est un phénomène qui existe dans tous les pays du monde. Une étude faite par l'organisation UNESCO en 2004 a trouvé que le taux de violence scolaire dans les pays arabes est de 30%, tandis que dans les pays européens est de 35%, mais le taux le plus élevé a été enregistré dans les pays américains (65%).

Plusieurs d'autres études ont montré que la violence scolaire est un phénomène socio- éducatif compliqué qui existe dans les villes plus que dans les paysans, et aussi le phénomène a touché non seulement les cycles moyen et secondaire mais aussi a touché le cycle primaire, tout cela nous mène à bien réfléchir pour les préventions rapides qu'il faut, surtout que les conséquences du phénomène sont devenu dangereuses qui se vari entre blesser et tuer.

Comme tous les pays du monde, l'Algérie est aussi touché par ce phénomène (la violence dans les écoles) à tous les niveaux ; primaire, moyen et secondaire.

Pour cela on a préparé cet article pour dépister les causes de violence scolaire en Algérie et quelles sont les solutions que les autorités ont pris pour diminuer au moins de ce phénomène.

-تمهيد:

يعتبر مصطلح العنف من أهم المصطلحات المناقشة في الأوساط والأبعاد المختلفة سواء كانت سوسيولوجية (اجتماعية) أو سيكولوجية (نفسية) أو ثقافية أو حتى اقتصادية، باعتبار أنه ظاهرة سلبية تؤثر على الأفراد وعلى المجتمع بجميع قطاعاته، وقطاع االتربية لم يسلم من مثل هذه الظاهرة، إذ أصبحت المدارس اليوم تعاني من ظاهرة العنف سواء عنف التلاميذ اتجاه الآخرين (تلاميذ، مدرسين أو إداريين) أو عنف المدرسين اتجاه التلاميذ، لكن ما يستلزم الوقوف عنده هو المظهر الأول أي عنف التلميذ اتجاه المدرس، كيف يعقل لتلميذ أن يرفع يده أو صوته في وجه مدرسه وهو كما يقال عنه: (قم للمعلم و فيه التبجيل..... كاد المعلم أن يكون رسولا). على هذا الأساس يجب الإحاطة بالموضوع المختار من الجوانب المذكورة ضامنين تغطية شاملة للأسباب أي الدلائل والآثار وكذا الحلول المتوخاه أو المستخدمة للخروج منها، وقد تزايد عدد حالات العنف من سنة لأخرى وتنوعت أشكاله كما ازدادت حدته وخطورته حتى أصبح يخيّل لأي مهتم ومتتبع للشأن التربوي أن المؤسسات التربوية قد انحرفت نوعا ما عن رسالتها وتحولت من فضاء لغرس القيم والمبادئ لدى النشء إلى فضاء للمبارزة والصراعات اليومية ورفع الدعاوي القضائية على مستوى المحاكم.

- مفهوم العنف:

يمكن النظر إلى العنف كنمط من أنماط السلوك، ويمكن أيضا النظر إليه كظاهرة، فهو عبارة عن فعل يتضمّن إيذاء الآخرين يكون مصحوبا بانفعالات الانفجار والتوتر، وكأي فعل آخر لابدّ أن يكون له هدف يتمثّل في تحقيق مصلحة معنوية أو مادية (جبلي، 1998، ص39).

يمكن النظر إليه كذلك كظاهرة اجتماعية تتكوّن من عدد من أفعال مجموعة من الفاعلين، تحدث في محيط معين وتكون لها درجة الاستمرارية بحيث تحتل فترة زمنية واضحة (جبلي، 1998، ص39).

يشمل العنف المجالات العائلية، المدرسية، مؤسسات العمل والقطاعات الرياضية، ومنه فهو يشير إلى كل سلوك غير طبيعي من شأنه التأثير على هذه الوحدات بشكل غير طبيعي مما يترك بعض الآثار التي قد تزيد من الطبع العام للأزمة وعدم إمكانية التخلص منها (التير، 1998، ص15).

يعتبر العنف من وجهة النظر الحديثة، مرضا اجتماعيا أكثر من كونه جريمة ... فظاهرة العنف تعدّ عرضا مرضيا أو صيحة إنذار أو رسالة خطر على المجتمع إن لم تحسن قراءتها. ولفهم ظاهرة العنف يجب معرفة دوافعها الكامنة في شخصية الفرد الذي يلجأ إلى العنف أو التطرف، وكذلك بواعثها الاجتماعية (العيسوي، د-ت، ص154).

من خلال هذه التعاريف نستنتج أن العنف هو سلوك غير طبيعي ومرض اجتماعي، وهو ظاهرة إنسانية، اجتماعية لابدّ من تكثيف الجهود لفهمها والبحث عن العوامل المؤدية لها وأخذ جميع التدابير للتصدّي لها، لأنها تمسّ جميع المؤسسات الاجتماعية، سواء في الأسرة، مكان الدراسة أو مكان العمل.

من هنا نستنتج أن المدرسة هي الأخرى لم تسلم من العنف، وهو ما نسميه بالعنف المدرسي أو العنف في الوسط المدرسي. وعليه لابدّ من الإشارة إلى بعض التعريفات للعنف في الوسط المدرسي، أهمها:

1- تعريف حويتي من جامعة الجزائر قسم علم الاجتماع والديمغرافيا يعرف هذا الأخير ويقول: " هو تلك التصرفات العنيفة من التلاميذ اتجاه التلاميذ أو من التلاميذ اتجاه المعلمين أو من التلاميذ اتجاه المدرسة، بمعنى آخر هو مجموع السلوك غير المقبول اجتماعيا بحيث يؤثر على النظام العام للمدرسة، ويؤدي إلى نتائج سلبية بخصوص التحصيل الدراسي، ونحدده في العنف المادي مثل الضرب والمشاجرة والسطو على ممتلكات المدرسة والتخريب داخل المدارس والكتابة على الجدران والاعتداء الجنسي وحمل السلاح الأبيض، والعنف المعنوي كالسباب والشتم والسخرية والاستهزاء والعصيان وإثارة الفوضى بأقسام الدراسة" (حويتي، 2003، ص235).

2-تعريف فؤاد زكريا: "هو سلوك هدام خارج على سلوك المجتمع وتقاليده يقوم به التلميذ لإلحاق الأذى بزميل له أو شخص آخر عن طريق الجرح أو من خلال السخرية من هذا الشخص، ويتّصف عن الرغبة في إيذاء الآخرين وفرض النفوذ عليهم، وله جانبان: مادي وآخر معنوي" (الشامي، 2004، ص65).

مما سبق نستطيع أن نستنتج تعريفا إجرائيا للعنف المدرسي وهو: كل ما يخص السلوكيات غير طبيعية التي تمس الوقائع التربوية كالعدوان الذي يمس الأساتذة على التلميذ والعكس صحيح والتخريب والتكسير الذي يمس الوسائل والتجهيزات وكذا تعاطي المخدرات، التحرشات الجنسية وتعاطي الكحوليات وما إلى ذلك.

- واقع العنف المدرسي في الجزائر:

كشفت دراسة قامت بها مصالح وزارة التربية الوطنية حول انتشار ظاهرة العنف في الوسط التربوي منذ سنة 2000 إلى غاية 2007، إحصاء أزيد من 300 ألف حالة عنف في أوساط التلاميذ، أغلبها في الطور المتوسط، فيما تمّ تسجيل أزيد من 8 آلاف حالة عنف للتلاميذ اتجاه الأساتذة وموظفي الإدارة خلال الموسم الدراسي، و5 آلاف حالة عنف للأساتذة وموظفي الإدارة اتجاه التلاميذ. تمّ إحصاء - حسب نفس الدراسة – حالات عنف مسجّلة حسب الموسم الدراسي ونوع العنف، فتبيّن أن هناك تزايد في العنف النفسي والمعنوي بنسب مرتفعة بالطور المتوسّط، بلغت 60%.(www. Djazairess.com/annasr/25295).

يمكن القول أن ظاهرة العنف في الوسط المدرسي في المدارس الجزائرية أخذت منحى خطير خلال الآونة الأخيرة، وتبيّن من هذه الدراسة أنها تمسّ المرحلة المتوسّطة أكثر من أي مرحلة أخرى، قد يعود السبب في ذلك إلى الانتقال المفاجئ للتلميذ من مرحلة التعليم الابتدائية إلى مرحلة التعليم المتوسط وكذا انتقاله من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة الأولى، أين يحدث الصدام بينه وبين الأطراف الأخرى الراشدين الذين يمثلون السلطة والنظام وكبح الحريات، إضافة إلى ذلك أن ظاهرة العنف لا تقتصر على التلاميذ اتجاه زملائهم أو الأساتذة أو موظفي الإدارة أو اتجاه ممتلكات المدرسة، بل هي أيضا مظاهر عنف من قبل هؤلاء على التلاميذ، بمعنى أن العنف في المدرسة الجزائرية هو ما يمارس من قبل جميع الأطراف في المدرسة اتجاه بعضهم البعض، سواء بطريقة معنوية أو بطريقة مادية.

في دراسة ميدانية أخرى لواقع العنف المدرسي بولاية سطيف خلال السنة الدراسية 2003/2002 قام بها خالد عبد السلام من جامعة سطيف (www.djazairess.com/sétif/1808) من خلال تحليل محتوى محاضر لجان التأديب ومحتوى تقارير أولياء التلاميذ ومديري المؤسسات التربوية تبين أن ظاهرة العنف المدرسي في تنامي مستمر وبشكل مخيف، حيث كانت نتائج الدراسة كالآتي:

عدد الحالات المسجلة رسميا على مستوى مديرية التربية هي 145 في كل من التعليمين الإكمالي (المتوسط حاليا) والثانوي . وينتشر العنف في التعليم الإكمالي أكثر منه في التعليم الثانوي حيث سجلت 83 حالة بنسبة 57.24% مقابل 62 حالة بنسبة 42.76% في الثانوي.

هذا يبيّن أن بداية مرحلة المراهقة الأولى التي تتزامن مع التعليم المتوسّط هي مرحلة حرجة، نظرا لعدم تأقلم التلاميذ مع متطلباتها، وعدم تفهّم الأساتذة لخصوصياتها، بينما المرحلة الثانية من المراهقة، فتتجه نحو الاستقرار والتوازن والهدوء أكثر، والتي تتزامن مع التعليم الثانوي.

كما بيّنت الدراسة أن العنف المدرسي يكثر في المناطق الحضرية أكثر منه في المناطق الريفية، حيث سجّلت مدينتي سطيف والعلمة لوحدهما 102 حالة بنسبة 70.34 % مقابل 43 حالة بنسبة 29.65 % في باقي المناطق نصف الحضرية والريفية.

يعبّر هذا على مدى تأثير الظروف الاجتماعية والثقافية وطبيعة العلاقات الاجتماعية الضيقة التي يفرضها تمركز السكان ومنطق العمران والتمدّن على سلوك وقيم التلاميذ وعلاقتهم مع الآخرين.

من جهة أخرى توصّلت الدراسة إلى أن العنف يمارسه التلاميذ الذكور أكثر من الإناث (126 تلميذ بنسبة 86.89% مقابل 19 تلميذة بنسبة 13.11%.

هذا يعكس الطبيعة النفسية للذكر في مجتمعاتنا والتي تمتاز بالخشونة والميل إلى استعمال منطق القوة لفرض الوجود عكس الإناث اللائي يعتمدن منطق التفوق الدراسي كتعويض لإثبات الذات.

أما طبيعة العنف الممارس من قبل التلاميذ حسب نتائج الدراسة فقد سجلت السلوكات الآتية:

- السب والشتم والكلام البذيء: 45 بنسبة 31.03%.
- التشويش والإزعاج أثناء الدرس: 35 بنسبة 24.13%
- التهديد بالضرب:22 بنسبة15.17%.
- تكسير أثاث المدرسة (طاولات، كراسي ونوافذ): 17 بنسبة 11.72 %.
- الاعتداء الجسدي أو بالحجارة: 14 بنسبة 09.65 %.

- استعمال مادة نتنة داخل القسم (الكافور والكريزيل):06 بنسبة 4.13 %.
- تفجير مفرقعات: 06 بنسبة 4.13

كل هذه الأرقام تبين لنا أن العنف اللفظي يحتل الصدارة، يليه التشويش والإزعاج ولفت الانتباه بسلوكات تحدث الفوضى والاضطراب داخل القسم وبعدها مباشرة سلوك التهديد بالضرب والاعتداء ثم تكسير الأثاث المدرسية والاعتداءات الجسدية أو بالحجارة بنسبة لافتة للانتباه 11.72% و09.65%

كما أن سلوك العنف الذي يميّز أكثر الإناث عن الذكور هو التشويش والإزعاج والسبّ والشتم وتكسير الأثاث. أما العنف الجسدي سجّلته حالة واحدة فقط ضدّ أستاذتها بعدما دفعتها بالقوة للخروج من القسم ونزعها لها الخمار أمام زملائها عند تأخرها.

مورس العنف ضدّ الأطراف التالية:
- الأستاذات: 57 بنسبة 39.31%
- الأساتذة: 34 بنسبة 23.44%
- الإدارة المدرسية: 16 بنسبة 11.03%
- القسم ككل: 14 بنسبة 9.65%
- المساعدين التربويين ذكور: 12 بنسبة 08.27%
- المساعدين التربويين إناث: 08 بنسبة 5.51%
- مدير الثانوية: 02 بنسبة 1.37%
- المراقب العام: 02 بنسبة 1.37%

كل هذه الأرقام تبين لنا أن الضحية الأكبر للعنف المدرسي هم الأساتذة بصفة عامة والأستاذات بصفة خاصة بحكم تعاملهم اليومي واحتكاكهم المستمر مع التلاميذ خلال الحصص الدراسية.

والإناث أكثر عرضة للعنف الجسدي أو بالضرب بالحجارة سواء أستاذات أو مساعدات التربية من الأساتذة والمساعدين التربويين الذكور بسبب ضعفهن الجسدي والنظرة الدونية التي يحملها التلاميذ الذكور عن الفتاة والمرأة بصفة عامة من خلال الصورة النمطية التي تكونت لديهم من خلال علاقة الأم بالأب والأخت بالأخ داخل الأسرة الجزائرية.

أما ملابسات سلوك العنف المدرسي، فبعد تحليل محتوى تقارير الأولياء والأساتذة ومديري المؤسسات التربوية تبين أن سلوك العنف حدث نتيجة الظروف الآتية:

-كثرة الحركة وعدم الانضباط أو التشويش (الكلام) داخل القسم 93 بنسبة 64.13% .

- التلبس بمحاولة الغش أثناء الامتحانات 15 بنسبة 10.34% .
- طلب ارتداء المئزر14 بنسبة 09.65 %.
- الضرب والاعتداء من قبل الأستاذ للتلميذ جسديا 08 بنسبة05.51 % .
- جر التلميذ بالقوة إلى الإدارة بعد السب والشتم07 بنسبة04.82% .
- تحريض التلاميذ على العصيان والتمرد 03 بنسبة2.68 % .
- الخروج من المدرسة بدون إذن الأستاذ 3 بنسبة 02.68%
- دفع قوي من قبل الأستاذ 02 بنسبة 01,37 %.

منه يتبيّن أن التلميذ إن قام بسلوكات عدوانية أو عنيفة اتجاه طرف آخر سواء كان زميله الأستاذ أو المساعد التربوي فهو رد فعل عن سلوك قام به هذا الطرف اتجاهه.

هذه عينة فقط عن واحدة من المدن الجزائرية، إذ أن أغلب المدارس الجزائرية إن لم نقل جميعها، تعاني من مثل هذه الظاهرة، التي تؤثر على المردود التربوي، إذ تنعكس بآثارها السلبية سواء على التلاميذ، الأساتذة أو الطقم الإداري، و هذا بدوره يؤثر على المجتمع ككل بجميع قطاعاته، خاصة وأن نجاح قطاع التربية هو مفتاح نجاح باقي القطاعات.

هذا واقع العنف المدرسي في الجزائر، وقد لاحظنا أن ما تعاني منه المدرسة الجزائرية هو ما يمارسه التلاميذ من ممارسات وسلوكات عنيفة وعدوانية اتجاه زملائهم، الأساتذة، الإداريين أو ما تحويه المدرسة من وسائل وأثاث.

- العوامل والأسباب المؤدية إلى ظاهرة العنف في المدرسة:

من المؤكد بمكان أن ظاهرة العنف تحدث نتيجة أسباب و عوامل عدّة، و قد أثبتت دراسات عديدة أن التلاميذ لا يمارسون العنف لمجرّد ممارسته فقط، بل أن ما يصدُر عنهم من سلوكات عنيفة، ناتج عن أسباب مختلفة، نفسية، اجتماعية و تربوية .

1-الأسباب النفسية:

الأسباب النفسية متعددة ومتنوعة ونأخذ منها ما يلي :

1.1.الإحباط:

هو حالة داخلية وشعور بالاضطراب الانفعالي الذي نواجهه عندما نعترض عقبة أثناء إشباع حاجاتنا، أو تحول دون تحقيق هدف نصبوا إليه **(عبد العظيم،2006،ص27)**.

ويقع الإحباط عندما تنشأ عقبة تمنع الفرد من الوصول إلى هدفه أو حاجة لديه أو رغبة أو توقع أو عمل شيء. والعدوان هو أحد ردود الفعل الشائعة للإحباط (أبو حطب،1983،ص507).

كما يتفق معظم العاملين في مجال الصحة النفسية على أن الإحباط يؤدي إلى سلوك عدائي في صور ودرجات مختلفة. وأن العدوان هو أسلوب عادي لمحافظة الفرد على تقديره لذاته إن أحبط فإذا ما أثار طفل سخرية بطفل أخر، فمن الطبيعي أن يلجأ الأخير إلى الاعتداء على من أثار عليه السخرية، فإذا ما أحيل دونه والاعتداء على زميله، فقد يجد منفذا لهذا العدوان عندما يعود إلى منزله فيعتدي، على أحد إخوته (عبد الغفار ،2007،ص94).

وعليه نستنتج أن العدوان مظهر من مظاهر العنف، والسلوك العنيف الذي يصدر عن التلميذ داخل المدرسة، سواء ضد أستاذه، زميله أو الإداري، يكون نتيجة حالة إحباط قد تعرض لها، سواء في المدرسة من طرف أحد هذه الأطراف، أو في الأسرة، إذ لم يستطع تحقيق حاجة لديه أو هدف سعى إليه، وبالتالي حدث لديه شعور بخيبة الأمل والفشل. ما كان أمامه سوى الاعتداء على الآخرين.

2.1.الحرمان:

يعتبر الحرمان من بين أحد الأسباب المؤدية إلى السلوك العدواني، لأن هذا الأخير ما هو إلا تعبير ورد فعل عن الحرمان من العطف والحنان والرعاية والحاجات الأساسية فإذا شعر المراهق بهذا الحرمان فيحاول التعويض عنه من خلال تصرفات وسلوكات عدوانية، قد تكون في بعض الأحيان لا شعورية قصد التعويض عن هذا النقص والحرمان الذي يعاني منه.

للحرمان ثلاث صور تسبب العدوان: الأولى عدوان كاستجابة للتوتر الناشئ عن استمرار حاجة عضوية مشبعة، والثانية عدوان يعقب الحيلولة بين الطفل وما يرغب فيه، والثالثة حرمان مؤد لعدوان يكون نتيجة هجوم مصدره خارجي ويسبب الألم (الشربيني،1994،ص89).

وعليه نقول أن السلوك العدواني قد ينجم عن حرمان الفرد من عدة جوانب، خاصة منها الحرمان العاطفي، لأنه يحاول تعويض ذلك النقص في جانب من الجوانب بجانب آخر كالاعتداء على الآخرين وممارسة سلوكات الشغب أو الضرب.

3.1. الغيرة:

هي حالة انفعالية يشعر بها الفرد ولكن لها مظاهر خارجية تدل على ذلك الشعور الداخلي، والغيرة شعور مؤلم يظهر في حالات كثيرة مثل ميلاد طفل جديد في الأسرة أو شعور الطفل بخيبة أمل في الحصول على رغباته، ونجاح طفل آخر أو شخص آخر في الحصول على تلك الرغبات، أو الشعور بالنقص الناتج عن الإخفاق والفشل، والواقع أن انفعال الغيرة انفعال مركب يجمع بين حب التملك والشعور بالغضب، وقد يلاحق الشعور بالغيرة إحساس الشخص بالغيظ من نفسه ومن أقرانه الذين تمكنوا من تحقيق مآربهم التي لم يستطع هو تحقيقها. وقد يصحب الغيرة

كثير من مظاهر أخرى كالغضب والثورة أو السب والهجاء أو التشهير والنقد أو المضايقة أو التخريب والعناد والعصيان والجنوح وكل هذه الأشكال من مظاهر السلوك العدواني (عبد المؤمن ،1986،ص 119).

ومنه فإن الشعور بالغير من الآخر يمكن لها أن تكون سببا في ممارسة العنف سواء على الشخص الذي يُغار منه أو شخص آخر كتعويض عن النقص الذي بداخله. للغيرة مظاهر عديدة، كأن يُفضّل طفل على طفل آخر، أو الإخفاق الذي يصحبه الشعور بالنقص والغيرة اتجاه الأشخاص الناجحين، إذ يصاحب الشعور بالغيرة سلوكات عديدة مثل الغضب، التوتر وأيضا الاعتداء على الآخرين.

4.1.الشعور بالنقص:

تميز مشاعر الدونية بشكل عام موقف الإنسان المقهور من الوجود، فهو يعيش حالة عجز إزاء قوة الطبيعة، وإزاء السلطة على مختلف أشكالها، يعيش حالة تهديد دائم لأمنه وصحته وقوته وعياله، يفتقر إلى الإحساس بالقوة والقدرة على المجابهة الذي يمده بالاحترام، فالإنسان المقهور عاجز عن المجابهة.

من هنا فالمصابين بهذه العقدة يخشون المجتمعات، ويهابون الناس، و يعجزون عن الكلام أو التعبير عن أنفسهم أمام الغرباء، ويشعرون بقصورهم وعجزهم وفشلهم في الحياة (عبيد،2008 ،ص155). لهذا نجد الأشخاص الذين يشعرون بالنقص يعبرون عن ذلك النقص بسلوكات، كثيرا ما تكون عنيفة اتجاه الآخرين.

بالإضافة إلى الأسباب السابقة الذكر توجد عدة أسباب منها : الصدمات، والانفعالات الشديدة، والتعصب، والسادية ... وغيرها من الأسباب النفسية التي تختلف من فرد لآخر ومن مجتمع لآخر ومن عصر لآخر. كلها أسباب تساهم في خلق العنف داخل المدرسة، إذ يمكن أن يكون مصدرها الأسرة، المدرسة أو حتى الشارع.

2- الأسباب الاجتماعية:

تعتبر الأسباب الاجتماعية من بين أحد الأسباب التي تسهم في نشوء العنف لدى الأفراد، وذلك باعتبار أن الفرد اجتماعي بطبيعته إذ يتأثر بمن حوله ويؤثر فيهم، فكلما كان التفاعل الاجتماعي بين الأفراد إيجابيا، كلما قل العنف، وكلما كان التفاعل الاجتماعي سلبيا كلما كانت الفرص لظهوره، ومن بين الأسباب الاجتماعية ما يلي:

1.2. الظروف الأسرية:

كثيرا ما يولّد المناخ الأسري الذي يتسم بالتفكك والخلافات والمشاحنات المستمرة بين الزوجين وأفراد الأسرة والطلاق وأساليب المعاملة الوالدية السيئة، لدى الطفل السلوك العدواني و بالتالي يكون عنيفا اتجاه الآخرين. ومن العوامل الأسرية الأخرى التي تسهم في ظهور العنف لدى الأطفال خبرات الإساءة والإهمال التي يتعرض لها الطفل في

طفولته على أيدي أحد أعضاء الأسرة وليكن الأباء أو مشاهدة العنف ضد أمهاتهم من خلال الآباء **(عبد العظيم،2007 ،ص200-203)**.

خاصة وأن الأسرة هي البيئة الأولى التي تحتضن الفرد أين تتكوّن شخصيته، وتغرس فيه المبادئ والقيم المرغوبة في المجتمع، ومنه يتنشّأ على كلّ ما هو إيجابي ومفيد له ولمجتمعه، لكن إذا كانت الأسرة تعاني من مشكلات أو خلافات بين أفرادها، ككثرة المشاحنات، الانفصال بين الوالدين سواء كان جزئيا أو كليا، وإذا سادت فيها أساليب التنشئة الاجتماعية الخاطئة، كالتسلّط والحماية المفرطة وانعدام الحوار بين الوالدين والأبناء. كل هذه المظاهر لها أثر على سلوكات الطفل، أهمها اتجاهه نحو العدوان وممارسة العنف على الآخرين، كوسيلة للتعبير عن سخطه على الأوضاع السائدة في أسرته.

2.2. المدرسة:

تتعدد المتغيرات المدرسية التي تسهم في ظهور السلوك العدواني للتلاميذ مثل ازدحام الفصول وارتفاع كثافتهم، فكلما زاد عدد التلاميذ بالفصل كلما أدى ذلك إلى زيادة الميل والنزعة إلى العدوان لديهم هذا إلى جانب سوء البيئة المادية داخل المدرسة مثل سوء التهوية والإضاءة ونقص الأثاث داخل غرفة الفصل وعلاوة على ذلك فإن صعوبة المناهج الدراسية وعدم مراعاتها بمبدأ الفروق الفردية بين الطلاب وكذلك تكليف الطلاب بواجبات أكاديمية تفوق ما لديهم من قدرات وإمكانات كل ذلك يثير غضب الطفل ويساعد على ظهور الميول العدوانية لديهم (عبد العظيم، 2006، ص114).

كما أن أساليب المعاملة السيئة من المعلم نحو بعض التلاميذ وتفضيل بعضهم على حساب الأخر وكذلك الفشل وانخفاض المستوى التحصيلي لدى بعض التلاميذ والشعور بالنبذ من الأقران كل ذلك يسهم في ظهور السلوك العدواني لدى التلاميذ. وعليه نقول أن للمدرسة دور واضح في تأثيرها على سلوكات التلميذ وقد تكون سببا مباشرا في اتجاهه نحو العنف والعدوان كتعبير عن عدم قبوله لتلك الأوضاع التي يعيشها في المدرسة.

3.2. المستوى الاقتصادي:

إن إنخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة يسهم في ظهور العدوان لدى الأبناء وذلك لما يترتب عليه من فشل في إشباع الحاجات النفسية للأطفال، مما قد يدفع بهم إلى البحث عند أساليب وطرق لتصريف ما يعانونه من إحباط وإشباع رغباتهم وحاجاتهم بطرق ملتوية وغير مقبولة اجتماعيا كالانخراط في جماعات إجرامية أو عدوانية تعمل على إشباع دوافعهم وحاجاتهم.

يتّضح لنا مما سبق أن الظروف الاقتصادية السية أو المتدنية التي يعيشها الفرد تؤثّر على سلوكاته، وتشجعه على ممارسة العنف أو الاعتداء كتعويض عن الحرمان المادي أو عن تلك الظروف التي يعيشها.

4.2. وسائل الإعلام:

وتتمثل في دور وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وخاصة التلفزيون، حيث تعد مسؤولة إلى حد كبير في شيوع العدوان والعنف بين الأطفال، وذلك لما تعرضه من مواد عدوانية فرؤية الأطفال لمشاهد عدوانية وعنيفة يؤثر على سلوكهم وقد يدفع بهم إلى ممارسة السلوك العدواني مع الآخرين، كما أن هناك علاقة بين العدوان ومشاهدة الأفلام العنيفة وأن الأطفال يقلدون ما يشاهدونه عبر وسائل الإعلام، فمشاهدة أفلام العنف تزيد من العدوان لدى الأطفال (عبد العظيم، 2007، ص221).

مما سبق نستنتج أن وسائل الإعلام هي سلاح ذو حدّين، إذ يمكن أن تكون مصدرا إيجابيا لأفراد المجتمع كما يمكن أن تكون مصدرا سلبيا لهم، خاصة إذا تميّز ما تعرضه وسائل الإعلام بالعنف والعدوانية، فيسجّل الطفل تلك السلوكات ويحاول تكرارها على أنها سلوكات طبيعية يمكن له ممارستها.

في تصنيف آخر للأسباب والعوامل التي يمكن أن تؤدي بتلاميذ المدارس إلى ممارسة العنف استطعنا ان نستنتج العوامل التالية:

1- عوامل تتعلق بالتلاميذ: كطبيعة التنشئة الاجتماعية، أو الوقوع تحت تأثير المخدرات، أو الإحساس بالظلم، أو التعويض عن الفشل، أو الاختلاط برفاق السوء...الخ.

2- عوامل بيداغوجية: كاستعمال أساليب بيداغوجية غير متناسبة و اعتماد مناهج قديمة لا تتماشى و متطلبات العصر.

3- عوامل تنظيمية: كغياب اللجان التأديبية و الرقابية و التنسيقية بين الأطراف و المعالم البيداغوجية مثال ذلك جمعيات أولياء التلاميذ و إدارة المدرسة...الخ.

4- عوامل قانونية: تتمثل في عدم وجود قوانين و لوائح واضحة تحكم عمل المؤسسات التربوية و الافتقار إلى أنظمة تعالج مسائل الخلاف بين أطراف المؤسسات التربوية (أساتذة، التلاميذ، الإدارة...الخ).

5- **عوامل أمنية:** انعدام و جود رجال أمن بالمؤسسات التربوية أو نقص كفاءتهم أو عدم كفايتهم إن وجدوا مقارنة بالحجم المنوط بالمؤسسة والتلاميذ.

6- عوامل تعود إلى الناحية البنائية للمؤسسة التربوية: تتمثل في تصميم المؤسسة، اكتظاظ الصفوف، نقص المرافق الضرورية وانعدام الخدمات، كذلك المدرسين ككثرة الغياب من الصفوف للأحاديث الفارغة مما يزيد من كثرة التمرد والسلوكيات العنيفة التي يصعب التحكم فيها.

يضيف نفس الأستاذ أيضا: "أن الحياة المدرسية التي يسيطر عليها روتين الدراسة والتدريس بطريقة الحشو المعرفي والحفظ الببغائي للدروس ويغيب فيها النشاط الثقافي والرياضي والعلمي يزيد المتعلمين ضيقا وقلقا ونفورا من المدرسة بل كثيرا ما ينتابهم الشعور بأنهم في سجن أكثر مما هم في فضاء يتيح لهم فرص التفتح والإبداع وإبراز المواهب بما أنه لا توجد فيه إلا الممنوعات والمحظورات والتعامل بالأوامر والنواهي فقط".

للتصدي لهذه الظاهرة التي يجمع كل العلماء والمختصين على أنها خطيرة و تنخر جسم المنظومة التربوية وتقف في وجه تحقيق الأهداف التربوية، لابدّ من وضع حدّ للعوامل التي تسببها.

- بعض الأساليب العلاجية المقترحة للتخفيف من العنف:

من خلال عرض العوامل والأسباب التي تؤدي إلى انتشار ظاهرة العنف داخل المدرسة، نوصي ببعض الحلول الموضوعية التي من شأنها المساهمة الفعلية في تخفيف مستويات السلوكيات العنيفة في الأوساط التربوية وهي:

- إعادة النظر في البرامج التكوينية للمربين والمدرسين سواء من الناحية البيداغوجية العلمية أو النفسية أو التربوية.
- وضع نصوص قانونية جديرة بردع التلاميذ الذين يبدون سلوكات انحرافية ، كذلك الأمر إلى المدرسين والمدراء والطقم الإداري.
- ضرورة إيجاد برامج توعوية ووقائية داخل المدارس وخارجها.
- ضرورة التوجيه الإرشاد والمتابعة المستمرة للتلاميذ داخل المدارس.
- توظيف أخصائيين اجتماعين ونفسين في المدارس بخصوص المتابعة المستمرة وتدريب المدرسين على اكتشاف التلاميذ العدوانيين ومعالجتهم.
- ضرورة رصد كل ظواهر الانحراف في المدارس مثل شرب الدخان وشرب الكحول وتعاطي المخدرات.
- تكيف الأنشطة العلمية المحلية داخل المؤسسات في أسلوب إشراك التلاميذ في المحاربة الفعلية لهذه الظواهر.
- تفعيل دور جمعيات أولياء التلاميذ على المشاركة المتماثلة في النظر بعين الحقيقة والاندماج الحقيقي في فرق العمل المدافعة والموجهة للتلميذ.
- استخدام وسائل إعلامية على شكل دوريات وقصاصات وإذاعات محلية تساهم هي الأخرى في رفع الحصار للمؤسسات التربوية وإشراكهم في الأنشطة الفعلية للواقع التربوي.

- خاتمة:

نهاية لهذا الطرح نستطيع القول أن العنف مازال مستمرا ما دامت لم تكن هنالك استراتيجية من طرف السلطات المسؤولة للتحرك قدما للمساهمة الفعلية في الدفع الحقيقي للانتهاء من هذه السلوكيات المؤرقة والمتعبة للأطراف التربوية بداية من الأسرة وصولا للشارع مرورا بالمدرسة وإلى المؤسسات الخاصة المتصلة بالنشاط التربوي.

يمكننا القول كذلك أن المشكلة الرئيسية التي تواجه الأساتذة في المدرسة الجزائرية هي كيفية التعامل مع التلاميذ المراهقين داخل القسم نتيجة ضعف تكوينهم في فهم سيكولوجية المراهقة وفي فنيات وطرائق التدريس وأساليب المعاملة التربوية لتوجيه مختلف السلوكات. وغالبا ما يعتمدون على ثقافة (الدبوس والعصى لمن عصى) كاستراتيجية يتواصون بها من جيل إلى جيل، بل أكثر من ذلك هناك من يصرخ علنا خلال المجالس التربوية أنه لا ينفع لا علم النفس ولا التفلسف مع تلامذتنا. لذلك يستعملون أساليب الزجر و الاستفزاز والسب أو الضرب والإهانة لكل مخطئ أمام زملائه ويشهرون به. وهو ما يجعل التلاميذ المراهقين لا يحتملون أن تتشوه صورتهم لا أن تداس كرامتهم من أي كان حتى ولو من أوليائهم. فيتحينون الفرص المناسبة للانتقام والرد على أساتذتهم لإثبات وجودهم ورد

الاعتبار لذواتهم (إما بالسب والشتم أو بالاعتداء أو بالانتقام من كل ما يرمز للأستاذ والمدرسة، كتكسير أثاث المدرسة أو إفساد وسائل بيداغوجية أو تشميع السبورة أو تمزيق الكتب والكراريس والسجلات المدرسية).

في الأخير ندعو جميع الأطراف المعنية إلى الاعتناء بالتلميذ على أنه أمانة بين أيدينا لا عدوا يجب محاربته أو التصدي له، خاصة وقد علمنا أن ممارسة العنف ليست إلا نتاجا لظروف (أسرية، اقتصادي، اجتماعية أو بيداغوجية) يعيشها هذا الأخير فيتحرك شدها محاولا التصدي لها عن طريق ممارسة العنف اتجاه الأشخاص خاصة منهم أولئك الذين يلتقيهم يوميا في المدرسة.

- المراجع:

1. أبو حطب، فؤاد (1983): مدخل علم النفس، ط2، السعودية: دار المريخ.
2. أحمد، حويتي (2003): العنف المدرسي، ورقة عمل مقدمة في الملتقى الدولي الأول للعنف والمجتمع، جامعة محمد خيضر ، بسكرة.
3. العيسوي، عبد الرحمان (دون سنة)، مبحث في الجريمة، دراسة في تفسير الجريمة والوقاية منها، دار النهضة العربية.
4. جبلي، خالص (1998): سيكلوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي، ط1، لبنان: دار الفكر المعاصر.
5. حسين، طه عبد العظيم (2007): استراتيجيات إدارة الغضب والعدوان، مصر: ط1، دار الفكر.
6. الحسيني، محمد عبد المؤمن، (1986): مشكلات الطفل النفسية، مصر: دار الفكر.
7. خالد، عبد السلام، (2010): دراسة ميدانية حول العنف المدرسي بولاية سطيف- الجزائر - djazairess.com/sétif/1808 في 08. 02. 2010.
8. سعيد، ناجي عبد العظيم (2006): تعديل السلوك العدواني، ط1، مصر: مكتبة زهراء الشرق.
9. الشربيني، زكريا (1994): المشكلات النفسية عند الأطفال، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي،
10. طلحة، هشام (2004): أعمال اليوم الدراسي للعنف في الوسط المدرسي بمساهمة الكشافة الإسلامية الجزائرية فرع بسكرة.
11. عبد الغفار، عبد السلام، (2007): مقدمة في الصحة النفسية، ط1، الأردن: دار الفكر.
12. عبيد، ماجدة (2008): الضغط النفسي، ط1، عمان: دار صفاء.
13. عمر التير، مصطفى، (1998): العنف العائلي، ط1، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، مكتبة الملك فهد.
14. www.djazairess.com/annasr/2529 في 25. 11. 2011.